تطور القصة القصيرة في الإمارات العربية المتحدة: نشأتها وتطورها

السيد/ ياشد ماتاي[١]

د/ محمد عابد. يو. بي[٢]

الملخص

هذه المقالة تبحث عن نشأة القصة القصيرة وتطورها وازدهارها في الإمارات العربية المتحدة. كما نعرف القصة هي فن أدبي نثري يكتفي بتصوير جانب من جوانب الحياة الفرد، لا شك أن القصة تحتل اليوم مكانة مرموقة في الآداب العالمية وتتفوق على مكانة الشعر فهي اليوم أكثر مقروئية وانتشارا منه. وقد لا يكون للتجربة القصصية الإماراتية تاريخ طويل يوازي ما للتجارب الدول العربية الأخرى، لأن تاريخ القصة القصيرة في الإمارات تقارن نشأتها في الغرب فهي في السبعينيات من القرن الماضي وصدرت في الصحف والمجلات.

القصة القصيرة وتطورها

أن القصة القصيرة الغربية تزدهر في العشرينيات سردها ترجع أصول الشكل القصير إلى الأسطورة وروايات الكتاب المقدس، وخطب القرون الوسطى والرومانسية، والخرافات، والقصص الشعبية، والقصص، وصعود القوطية الألمانية في القرن الثامن عشر. لكن أصولها الأسطورية، التي تمت تصفيتها من خلال التأثير الرومانسي، كان عليها أن تتفق مع اتفاقيات ميميسيس و فريسيمبلانس من الواقعية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر[٣]. ويلاحظ تشارلز ماي أن "القصة القصيرة منذ بدايتها كانت شكل هجين يجمع كل من الأسلوب المجازي من الرومانسية القديمة ووضع ميتونيمي للواقعية الجديدة"[٤].

ولكن أدب القصة العربية نشأت في الثقافة العربية من خلال تأثير التفاعل المباشر بين العرب والغرب خاصة بعد استعمار نابليون بونابرت في مصر عام ١٧٩٨. وقد ظهرت القصة في العالم العرب متأثرة بالأدب الغربي ترجمة وتقليدا ثم إبداعا، وفي عام ١٨٧٠ بدأت القصص العربية القصيرة تظهر في الصحف اليومية والمجلات. وناقشت القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية في المنطقة. وقد ولدت القصة القصيرة بصورتها الفنية على يد محمد تيمور حين نشر قصته "القطار" سنة ١٩١٧م.

---

١ باحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا

٢ مشرف البحوث والأستاذ المساعد، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرالا

٣ Charles May, The Short Story; The Reality of Artifice, 1995,New York, P No: 1, 42

٤ Charles May, The Short Story; The Reality of Artifice, 1995,New York, P No:72

نشأة القصة في الإمارات العربية المتحدة وتطورها

تتكون دولة الإمارات العربية المتحدة من الإمارات السبع الصغيرة في إمارة أبو ظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القوين والفجيرة التي تم توحيدها كدولة اتحادية في ٢ ديسمبر١٩٧١، لم يتعد ظهور القصة في الإمارات العربية المتحدة أربعة عقود، دولة الإمارات لم تعرف الرواية والقصة القصيرة كجنس أدبي له شروطه الفنية إلا متأخرا بالمقارنة مع الدول العربية الأخرى كسوريا والعراق ولبنان ومصر ودول المغربي العربي وغيرها، وذلك التي تحررت تلك الدول من الاستعمار مبكرا، وظهرت فيها حركات التحرر والتفنن والثقافة.

ولما ظهر أثر النفط في حقول الإمارات قد شهدت تطور الثقافية والحضارية في كل جوانب الحياة الاجتماعية، حيث تطورت جميع مناحي الحياة، ومنها الجانب التربوي، فانتشرت المدارس والمراكز الثقافئة، وأرسلت البعثات الدراسية للدراسة في الجامعات الخارجية، العربية منها والغربية. وانتشرت الأندية الرياضية المحلية التي بنيت في أنحاء الإمارات وهي التي اهتمت بالثقافة إلى جانب الرياضة، فقد ضمت هيئات ثقافية فاعلة ، لها أنشطة متنوعة مثل صحف الحائط ، والنشرات والدوريات الثقافية، والجرائد المحلية والفصلية، وتأسست إلى جانب ذلك المؤسسات الإعلامية ، وصدرت الصحف اليومية التي كان لها الأثر الكبير في نشر الإبداع الأدبي لأبناء الإمارات.

كانت بداية نشأة القصة القصيرة الإماراتية في السبعينات، ومن المتفق عليه أن يعتبر أول من كتب القصة القصيرة بالإمارات شيخة الناخي التي نشرت قصتها الأولى "الرحيل" عام ١٩٧٠م وكذلك أن أول مجموعة قصصية صدرت فكانت لعبد الله صقر بعنوان "الخشبة"عام ١٩٧٤م في دبي ، وكذلك قصة "ذكريات وأماني لحاج مظفر قد ظهر في عام ١٩٧١م . وأيضا قصة "ضحية الطمع" لعلي عبيد علي عام ١٩٧٢م وقصة "يوميات موظف صغير" لعبد العزيز الخليل عام ١٩٧٤م ومجموعة "الشقاء" لعلي عبد العزيز الشرهان التي تناول فيها مرحلة ما قبل قيام الاتحاد، ومجموعة "السباحة في عيني خليج يتوحش" لعبد الحميد أحمد في عام ١٩٨٢م وغيرها ونشر هؤلاء انتاجاتهم في المجلات ونشرات الأندية الرياضية مثل 'الأهلي' و'الزمالك' و 'الشباب' و'أخبار دبي' وغيرها. ونمكن أن نقسم هذا التطور إلى مرحلتين مهمتين، وهما :

مرحلة التأسيس

تبدأ هذه الفترة تقريبا من أواخر الستينات حتى عام ١٩٧٩، تأثرت معظم القصص الإماراتية في هذه المرحلة بأسلوب القصة التقليدي، حيث امتثل القانون لرواتب الأحداث: مقدمة، عقدة ، وسط، ونهاية.

نجد أن الرعيل الأول من القاصين الإماراتيين كانوا أمناء على الحكائي من السرد، وكأن القصة لدى ناصر جبران حكاية من حكايات البحر والغوص المعهودة التي درج عليها الآباء والأجداد، أو كأنها لدى عبد الرضا السجواني مثلاً آخر قضية من قضايا المجتمع الإماراتي. ولعل الاستثناء الوحيد من هذا الرعيل هو عبد الله

صقر صاحب أول مجموعة قصصية إماراتية هي "الخشبة"، التي ذكر القاص والناقد الإماراتي عبد الحميد أحمد في مقالته "توصيفات عامة حول القصة والرواية في الإمارات" وأن هذه المقالة لم تصل إلى القارئ، فقد صودرت وأحرقت لأن موضوعاتها دارت حول الإنجليز بشكل عنيف، فغابت عن ذاكرة الناس و كأنها لم تصدر إطلاقاً، حتى تاريخ صدورها الفعلي لا يعرفه إلا صاحبها فقط. وقد كانت معظم القصص الصادرة في تلك الفترة تهتم بالمضمون لا بالشكل الفني وتجنح إلى الرومانسية، إذ كانت تمتلئ بالبكاء والحزن ومشاعر الأسف والندم والخيبة. وكانت أغلب موضوعاتها تدور حول هموم اجتماعية، كغلاء المهور، وزواج الصغيرات وإجبارهن على ذلك من الكهول والأثرياء، وعدم احترام إرادة الفتى والفتاة في اختيار شريك الحياة.

وسيتم تناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل عند استعراض الظواهر الاجتماعية في القصة القصيرة الإماراتية. ويلاحظ أنها اهتمت بالتوثيق المباشر للأحداث التي عاشها المجتمع الإماراتي. ومن أبرز القصص التي صدرت في هذه المرحلة: 'الجزاء'، 'ضحية الطمع' لعلي عبيد علي. 'الجحيم'، 'هذا هو الحب'، 'ليل بلا آخر'، 'ذكريات وأماني' لمظفر الحاج مظفر. 'يوم في حياة موظف صغير'، 'عابر سبيل' لمحمد علي المري. 'من أجل ولدي' لعبد العزيز خليل. 'الفرار'، 'خلف الباب المغلق'، 'ذات العيون القاتلة' لعبد الحميد أحمد...

مرحلة التطور الفني

شهدت القصة القصيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة دفعة قوية بعد عام ١٩٧٩، حيث كان هذا العام بداية مرحلة ثقافية واجتماعية جديدة، والتي لا تزال مستمرة حتى الآن في دولة الإمارات العربية المتحدة. وفي هذه المرحلة سارت القصة القصيرة في الإمارات في طريق التطور السريع وذلك بعد انفتاحها واتصالها بالأدب العربي بشكل خاص والأدب العالمي بشكل عام. تطور في هذه المرحلة الشكل الفني للقصة ليواكب المضمون والوعي الجديد، فالقصة لم تعد تلك التقليدية المتكئة على أركان المدرسة القديمة 'بداية – عقدة-حل'. لقد تم تجاوز ذلك إلى خوض غمار التجربة الإبداعية المنطلقة بعيدا عن أسر التقليد وجمود القديم، وحاولت القصة كسر الشكل الفني القديم وتناول الموضوع ضمن سياق حديث لا يعترف كثيرا بالقيود الأسلوبية واللغوية والبنائية القديمة.

وقد تميز هذا التطور بإنتاجه الكمي الكبير وقد تميز هذا التطور بإنتاجه الكمي الكبير مقارنة بفترة السبعينات، حيث كان الإنتاج القصصي بمجموعه ضئيلا، في حين نراه في الثمانينات والتسعينات قد أخذ زخماً ملموساً، إذ صدرت العديد من المجموعات القصصية، ونشرت عشرات القصص القصيرة في الصحف والمجلات المحلية والعربية. وحمل هذا الإنتاج الوفير قصصا متميزة بتطورها الفني، وذلك استجابة للتغيرات الهائلة التي حدثت في المجتمع الإماراتي الذي اختلف كثيرا عما كان عليه بالأمس، كما أن ما يقلق الإنسان الإماراتي من قضايا وتحديات اختلفت جذريا عما كانت عليه في السابق. المواضيع التي تناولت وعالجت القصة الإماراتية في هذه الفترة تنتقد الأوضاع السائدة في المجتمع.

وبالرغم من هذا التجديد والتحديث في الشكل الفني للقصة في الإمارات، إلا أنها بقيت محافظة على هويتها الاجتماعية، شاهدة على إنسانها ومكانها وزمانها، وفية لخصوصيتها المحلية غاية الوفاء، سخية معها غاية السخاء. تلك المحلية المفعمة بدفء الخليج وعبقه وأسراره وتاريخه، مستخدمة كل عناصر مكوناتها من المكان إلى القيم والمفاهيم والعادات والتقاليد، والأعراف والمعتقدات، والمهن والحرف، إلى العلاقات الاجتماعية الاقتصادية بين الأفراد في الماضي والحاضر، مركزة على إبراز القضايا الاجتماعية بالدرجة الأولى. وهذه الخصوصية نجدها ظاهرة جلية في قصص محمد المر، فهو يحصر قصصه في 'بيئة محددة لا يخرج عنها هي دبي. هذه البيئة التي خبرها وعرف خباياها، يجيد تصويرها أكثر من غيرها. دبي هاجس مستديم يعيش مع المر في قصصه، بِخورها ومناطقها وأهلها ومساجدها، وأسواقها ومدارسها ودوائرها. وقد أخلص لهذه القضية إخلاصاً عجيباً. فهو لا يخرج من دبي إلا ليعود إليها، ونجده يكتب قصة كاملة لتعالج حال دبي بين القديم والحديث. فدبي هي المسرح الرئيسي في قصصه'. ومن أبرز أعلام هذه المرحلة : سلمى مطر سيف، ظبية خميس، إبراهيم مبارك، سارة الجروان، سارة النواف، ابتسام المعلا، ناصر الظاهري، أسماء الزرعوني، ونجيبة الرفاعي

الخاتمة

يمكننا أن نجمل القول إن القصة القصيرة في الإمارات آخذة في التطور شكلياً وفنياً، منذ أن رأت النور إلى يومنا هذا، من خلال إصرار كتابها على تجريب الوسائل الفنية الحديثة. وبالرغم من هذا التطور إلا أنها مازالت مرتبطة بالمجتمع، تنهل من موضوعاته، متعرضة لماضيه وحاضره، كاشفة عن المشاكل الناجمة عن عملية التغير الحضاري والثقافي والاجتماعي. فالقصة الإماراتية شاهدة على إنسانها ومكانها وزمانها، محافظة على هويتها الاجتماعية الأصيلة.

المصادروالمراجع

١. أبحاث الملتقى الثالث للكتابات القصصية في الإمارات ١٩٩٣- ج١- اتحاد كتاب وأدباء الإمارات- الشارقة- ط١- ١٩٩٣.

٢. ضياء الصديقي، البيئة الإجتماعية في قصص محمد المر، مجلة شؤون اجتماعية، العدد الثاني والعشرون، جمعية الاجتماعيين، الشارقة، دولة الإمارات، ١٩٨٩،

٣. أحمد الزعبي: فضاءات النص الإماراتي- دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة- ط١- ٢٠٠٥.

٤. إسلام أبو شكير: مقالة:القصة القصيرة الجديدة في الإمارات- الخليج الثقافي- عدد بتاريخ ٢٤\٤\٢٠١٠.

٥. بدر عبد الملك: الظواهر الاجتماعية في القصة القصيرة الإماراتية- دار الكنوز الأدبية- بيروت- ط١- ١٩٩٥.

٦. عبد الفتاح صبري: القصة القصيرة في الإمارات (كتاب الرافد)-دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة-ط١- ٢٠٠٦.

٧. ندوة الأدب في الخليج العربي ١٩٨٨- ج١- اتحاد كتاب وأدباء الإمارات- الشارقة- ط١- ١٩٩٠.

٨. Charles May, The Short Story; The Reality of Artifice, 1995,New York

☆☆☆